المجلة الدولية للإتصال الإجتماعي
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم
ISSN: 2437 – 1181
EISSN: 2710-8139

المجلد 08 /العدد 04 (2021)،ص- ص191 ، 224

الاغتراب الثقافي بالمجتمعات المعاصرة وعلاقته بالثقافة الجماهيرية من منظور نظرية الثقافة الجماهيرية لماكدونالد

Cultural alienation to contemporary societies and its relationship to mass culture from the perspective of McDonald's mass culture theory

بوطورة حنان* [1] ، منصوري سميرة[2]

[1] مخبر البحوث والدراسات الاجتماعية- جامعة 20 أوت1955سكيكدة(الجزائر)، h.boutora@univ-skikda.dz

[2] مخبر البحوث والدراسات الاجتماعية- جامعة 20 أوت1955سكيكدة(الجزائر)، s.mansouri@univ-skikda.dz

تاريخ الاستلام: 2021/07/07 تاريخ القبول: 2021/09/29 تاريخ النشر: 2021/12/31

DOI. 10.53284/2120-008-004-010

الملخص:

تطورت دلالات الاغتراب عبر العصور التاريخية لتحمل دلالات نفسية أو اجتماعية مختلفة، حتى صار اليوم في عصر العولمة والهيمنة الثقافية يرتبط بجانب الثقافة الاستهلاكية التي أضحت تروج لها تكنولوجيا الاتصال الحديثة بالمجتمعات المعاصرة، بصورة أوجدت أزمة ثقافية يعيشها المجتمع المعاصر وتتجسد في غياب الفاعلية على المستوى الفردي والاجتماعي في ظل سيولة الحياة الاجتماعية التي لا تستقر على حال في مواكبة السوق والرغبات التي لا تفتأ تتجدد للإنسان المعاصر، لذا هدفنا من خلال هذه الورقة البحثية إلى التعرف على علاقة الثقافة الجماهيرية الاستهلاكية بمظاهر الاغتراب الثقافي في عالمنا المعاصر من وجهة نظر نظرية الثقافة الجماهيرية لماكدونالد.

وتوصلنا إلى، أن الثقافة الاستهلاكية الجماهيرية قد سببت الكثير من مظاهر الاغتراب الثقافي بالمجتمعات المعاصرة مثل التشيؤ، اللامعنى، اللامعيارية وغيرها من الأبعاد التي ارتبطت من وجهة نظرية الثقافة الجماهيرية لماكدونالد بالثقافة السلعية التي انهارت بالذائقة الثقافية الجماهيرية بما تروج له من ثقافة سطحية عبر وسائل تكنولوجيا الاتصال الحديثة.

الكلمات المفتاحية : الثقافة الجماهيرية، الاغتراب الثقافي؛ الاستهلاكية، تكنولوجيا الاتصال الحديثة

Abstract:

The connotations of alienation have evolved throughout historical times to withstand different psychological or social connotations until today's era of globalization and cultural hegemony, linked to the consumer culture that modern communication technology promotes in contemporary societies, in a way that has created a cultural crisis in contemporary society and is embodied in the absence of effectiveness at the individual and social level, in the context of social liquidity, which is not stable in keeping with the ever-regenerating market and desires of modern man.

We have concluded that mass consumer culture has caused many manifestations of cultural alienation in contemporary societies, such as the senseless, infinite and other dimensions that have been linked from the point of view of MacDonald's mass culture to the commodity culture that has collapsed with mass cultural taste by promoting a superficial culture through modern means of communication technology.

Key words: mass culture. Cultural alienation. It's consumerism. Technology; Modern Connection

* المؤلف المرسل.

1.مقدمة:

الاستهلاك ظاهرة إنسانية اجتماعية ليست بالجديدة وإنما هي ظاهرة متوغلة في الحضارة الإنسانية منذ القدم، إلا أنه اليوم لم يعد وسيلة لتحقيق الأهداف الاجتماعية وإشباع الحاجات الإنسانية فقط، وإنما صار غاية في حد ذاته، بصورة عاد معها ليعيد تشكيل الهوية الثقافية لكافة المجتمعات المعاصرة موجدا بذلك هوية هجينة جديدة أعادت تنظيم وهيكلة البناء الاجتماعي لها بصورة أوجدت معها أنماطا جديدة للتفاعل والعلاقات الإنسانية تقوم على الاستهلاكية ليتحول الإنسان المعاصر ذاته إلى بضاعة في هذه السوق الكبرى التي تحكمها تكنولوجيا الاتصال الحديثة لصالح أصحاب رأس المال العالمي.

فقد أصبحنا اليوم نلاحظ أن الأفراد بالمجتمع الاستهلاكي المعاصر لا ينجذبون للسوق لشراء حاجياتهم فقط أو البيع وإنما لشراء أشياء قد لا يحتاجونها ولكنها تساعدهم في زيادة مكانتهم الاجتماعية وترفع من قيمتهم في السوق الاجتماعية، التي يبيع فيها الأفراد اليوم صورة منمقة عن أنفسهم تتناسب مع ما تروج له الآلة الاستهلاكية من خلال الثقافة الجماهيرية عبر تكنولوجيا الاتصال الحديثة ليحصلوا على التقدير والحب، فتصبح وظيفة الاستهلاك استثمارا في الانتماء الاجتماعي للذات من خلال امتلاك ما يترجم في المجتمع الاستهلاكي إلى مبيعات.

وبالتالي جعلت الثقافة الجماهيرية من الاستهلاك مركزا للحياة الاجتماعية المعاصرة أين يلهث الأفراد باستمرار ودون انقطاع للحاق بمتغيرات السوق الاستهلاكية، كي لا يفقدوا الاتصال مع ذواتهم ومكانتهم بين جماعات الانتماء، إلا أنهم لا يحققوا في الواقع إلا مزيدا من القلق والتوتر والاضطرابات النفسية، لأن التغير صار فائقا بصورة يعجز معها الأفراد عن مواكبته وهو ما يجعل الحياة المعاصرة مصدرا للاغتراب بكل أشكاله خاصة الاغتراب الثقافي، إذ لم تعد مقومات الثقافات المحلية وخياراتها وتفضيلاتها تكفي لتجعل أفراد المجتمعات المعاصرة يشعرون بالرضى عن ذواتهم التي يرون قيمتها من خلال مقدار ما تحققه من رغبات استهلاكية تتحكم في المعايير والقيم الثقافية التي يقيمون من خلالها ذواتهم وغيرهم وكذا طريقة عرضهم لصورتهم أمام الآخرين عند دخولهم في أي علاقة اجتماعية.

كل ذلك جعل الإنسان المعاصر اليوم يظهر بمظهر اللاعقلانية في علاقته مع الثقافة الجماهيرية الاستهلاكية أين يمكن أن نجد أفراد يقفون قسريا أمام نوافذ المتاجر بأعداد هائلة ينتظرون دورهم لشراء أشياء ربما لا يحتاجونها وإنما يرغبون بها لأنه قد روج لها بالثقافة الجماهيرية على أنها تزيد من مكانتهم الاجتماعية وتحقق وجودهم الذاتي والاجتماعي بأن تجعلهم أشخاصا أكثر

سعادة ورفاه، فنجد أنهم قد يختلقوا الكثير من المبررات الواهية لشراء المزيد والمزيد من الأشياء لمحاصرة حالة الخوف واللاأمن بأنفسهم والاغتراب الثقافي الذي أوجده التغير السريع بالانغماس في المزيد من الاستهلاك والتسلية اللذين توفرهما الثقافة الجماهيرية عبر تكنولوجيا الاتصال الحديثة.

تأسيسا على ما سبق، هدفت هذه الورقة البحثية إلى البحث في علاقة الثقافة الجماهيرية بالاغتراب الثقافي من منظور نظرية الثقافة الجماهيرية لماكدونالد وبالتالي تكون إشكالية البحث كالآتي:

كيف تساهم الثقافة الجماهيرية في بروز مظاهر الاغتراب الثقافي بالمجتمعات المعاصرة من وجهة نظر نظرية الثقافة الجماهيرية لماكدونالد؟

وللإجابة على هذا التساؤل تم صياغة التساؤلات الفرعية التالية:

- ما هي الثقافة الجماهيرية ؟
- ما هو الاغتراب الثقافي؟
- كيف تفسر نظرية الثقافة الجماهيرية لماكدونالد العلاقة بين الاغتراب الثقافي والثقافة الجماهرية بالمجتمعات المعاصرة؟

وقد تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي في الإجابة على هذه التساؤلات من خلال اعتماد خطة بحث تبدأ بماهية الثقافة الجماهيرية وخصائصها ثم ماهية الاغتراب الثقافي، وفي الأخير نتعرض لعلاقة الثقافة الجماهيرية بالاغتراب الثقافي بالمجتمعات المعاصرة من وجهة نظر نظرية الثقافة الجماهيرية لماكدونالد.

2.الثقافة الجماهيرية: المفهوم والخصائص

عرفها **جمال العيفة** بأنها:"المواقف الجديدة التي تنشرها وسائل الاتصال والإعلام لدى الجماهير الواسعة وبصفة اصطناعية، وتمتاز بأنها ثقافة مصطنعة تخضع لمقاييس السوق وفق مبدأ العرض والطلب، وظهرت بظهور وسائل الاتصال الحديثة". (تومي، 2016-2017، صفحة 99)

وهي نمط من الثقافة اللحظية، الوقتية، المتشظية والسلعية القائمة على التسلية وتستخدم تكنولوجيا الاتصال الحديثة في توجيه الثقافة الإنسانية عموما إلى الطابع التجاري، الذي يدفع بالمثقف والمبدع أديبا أو فنانا، إلى أن يكون في حالة حرب مع ذاته من

أجل اللحاق بالسوق، فيتحول إلى منتج كمي لا نوعي،وبالتالي فهي تحول العقل إلى نموذج تجاري لا ثقافي-معرفي. (الشوفي، 2005، صفحة 32)

وتعرف الثقافة الجماهيرية أيضا بأنها ثقافة الجميع التي تنتجها مؤسسات تجارية، إعلامية/صحفية/إذاعية وتلفزيونية/سينمائية/شركات إنتاج مختلفة، وتستمد مضمونها من الثقافة الراقية ومن الثقافة الشعبية، فهي منتج من منتجات وسائل الاتصال الجماهيري كالراديو والأفلام وكتب التسلية والقصص التلفزيونية والسينما، معدة للاستهلاك الجماهيري، غير موجهة إلى طبقة محددة ولا إلى مستوى ثقافي أو تعليمي محدد. يعتمد مضمونها على الأغنية والتمثيلية والمسلسلات والفيلم وبرامج المسابقات والرياضة، أي أنه مضمون ترفيهي معد للاستهلاك ويخضع لقانون السوق التجاري، تتسم رسائله الاتصالية بالتماثل والسطحية لإرضاء أذواق الجماهير بهدف تنميطها. (أبو أصبع، 09 -جويلية-2012، صفحة 6)

وهي عند **فيليب بورتون** مثل كائن سوسيولوجي: هي جسم مركب من أبعاد، رموز، أساطير، وصور تخترق الفرد في أعماقه، تنظم أفعاله وتوجه مشاعره، هذه الثقافة تحتوي على نظام خاص هو جزء من تركيبتها الخاضعة لمقاييس الإنتاج الصناعي، والمنبثة عبر وسائل الإعلام لصالح أعداد ضخمة وهائلة من الأفراد. (تومي، 2016-2017، صفحة 100)

كما يشار إليها على أنها: عبارة عن طقس مفتاحه التحديث الذي يستخدم وسائل الإعلام لتمهيد الطريق أمام أنماط اجتماعية يراها أكثر عقلانية من خلال التدمير البنائي للأنماط الاجتماعية المحلية باستخدام ما يشكل النظام الاجتماعي والسياق الثقافي بما يحمله من حصيلة ثقافية شعبية مشتركة (من شخصيات وصور) في تلك المجتمعات في مواقف وسياق محدد تحديدا دقيقا يستخدم فيه أفراد ذلك لتحقيق غرض ما. (أرمبرست، 2000، الصفحات 10-12)

وعبر عنها **إدغار موران** بأنها نتاج الحداثة التي جلبتها للثقافة المشتركة ويقول عنها بأنها:"...القدرة على احتواء مختلف المستويات الثقافية، ومختلف الأشياء ذات الأصول المختلفة، ومن جهة أخرى مختلف العلاقات الداخلية التي تربطها الثقافة الجماهيرية مع الخبرة الشخصية، ما تجلبه الثقافة الجماهيرية هو الامتداد المعتبر للخبرة الشخصية، وبالأخص بعد مختلف للإثارة". (تومي، 2016-2017، صفحة 100)

بناءا على ما سبق، يمكننا استخلاص **خصائص الثقافة الجماهيرية** كالتالي:

- ثقافة مصطنعة تخضع لمقاييس السوق وفق مبدأ العرض والطلب.
- نمط من الثقافة اللحظية، الوقتية، المتشظية والسلعية القائمة على التسلية وتستخدم تكنولوجيا الاتصال الحديثة في توجيه الثقافة الإنسانية عموما إلى الطابع التجاري.
- منتج من منتجات وسائل الاتصال الجماهيري كالراديو والأفلام وكتب التسلية والقصص التلفزيونية والسينما.
- غير موجهة إلى طبقة محددة ولا إلى مستوى ثقافي أو تعليمي محدد.
- يعتمد مضمونها على الترفيه، فهو معد للاستهلاك ويخضع لقانون السوق التجاري، تتسم رسائله الاتصالية بالتماثل والسطحية لإرضاء أذواق الجماهير بهدف تنميطها.
- صور تخترق الفرد في أعماقه، تنظم أفعاله وتوجه مشاعره.
- تحتوي على نظام خاص هو جزء من تركيبتها الخاضعة لمقاييس الإنتاج الصناعي.
- تعرض عبر وسائل الإعلام لصالح أعداد ضخمة وهائلة من الأفراد والجماهير.
- تقوم على مبدأ التحديث الذي يستخدم وسائل الإعلام لتمهيد الطريق أمام أنماط اجتماعية استهلاكية يراها أكثر عقلانية.

3.مدخل إلى الاغتراب الثقافي

1.3.مفهوم الاغتراب الثقافي

يعرفه مالك بن نبي على أنه **أزمة ثقافية** يعيشها مجتمع ما وتؤثر على الحياة الاجتماعية، فيظهر في شكل تكيف لا سوي للأفراد داخل المجتمع نتيجة حرمانهم من جو ثقافي سليم، ويظهر على المستوى الفردي في شكل سلوكيات كالعزلة الاجتماعية والتقوقع والهروب من المسؤولية، كما يظهر على مستوى المجتمع في شكل عجز عن إنتاج الأفكار لمواجهة مشكلاته والعجز عن التعايش السوي مع باقي الثقافات. (بن نبي، مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة، 2002، الصفحات 91-92)

ويعرفه حازم خيري على أنه: "أي تنازل للإنسان على حقه الطبيعي في امتلاك ثقافة حرة متطورة، إراحة لذاته وإرضاء لمجتمع". ويقصد بإرضاء المجتمع؛ "تنازل الفرد عن حقه الطبيعي في نقد ثقافته وتطويرها. (سلاطنية و نوي، 2013، صفحة 21)

ويعرف الاغتراب الثقافي أيضا بأنه ابتعاد الفرد ورفضه ونفوره من ثقافة مجتمعه الذي نشأ فيه والانفصال عنها، والانبهار بكل ما هو غريب وأجنبي من عناصر الثقافة، وخاصة أسلوب حياة الجماعة، والنظام الاجتماعي، وهو أحد مظاهر الاغتراب العام. (خلفون، 2009-2010، صفحة 77)

يعرفه أحمد زكي بدوي بأنه:"فقدان المعايير الاجتماعية، وغربة الفرد عن نمط ثقافته في المجتمع، واعتناقه لمبادئ مختلفة" (خلفون، 2009-2010، صفحة 78)

وهو عند **نيكسون** الرفض الصريح والحر، الذي يختاره الفرد لما ينظر إليه على أنه القيم أو الأعراف السائدة في المجتمع (الرواشدة، 2012، صفحة 8)

يرى **هاجدا** أن الاغتراب الثقافي هو وعي المرء بعدم الانتماء والمشاركة للأفراد الآخرين بمجتمعه في اهتماماته أو ذوقه الشخصي، مما يوجد لديه شعورا بالاختلاف يولد لديه حالة من التوتر بوجود الآخرين. (خلفون، 2009-2010، صفحة 79)

أما فاطمة درويش، فتعرفه بأنه تلك الظاهرة التي تنشأ جراء التناقض بين المثل الاجتماعية والواقع الاجتماعي، بين القيم الكامنة التي تولد طموحات ورغبات لدى الفرد، وبين البنية الاجتماعية التي تمنع تحقيق هذه الطموحات والتطلعات. (سلاطنية و نوي، 2013، صفحة 21)

يعرف **الاغتراب الثقافي** أيضا على أنه، انفصال الفرد عن النظام الاجتماعي، وأسلوب الحياة المتبع في بيئته الثقافية نتيجة الاعتقاد بعدم جدواها في تحقيق متطلباته، والاعتماد على مرجعية ثقافية تستند إلى ثقافة أخرى في تسيير أمور حياته وتحديد اتجاهاته وتصوراته لجوانب الحياة المختلفة، مما يسبب عجزه عن المشاركة الفعالة في التصورات المستندة إلى الموروث السائد في ثقافته، فتظهر عليه أعراض سلوك لا سوي كالانسحاب والعزلة الثقافية والعجز الثقافي و اللامعيارية. (هدهود، 2012، صفحة 44)

2.3.أبعاد الاغتراب الثقافي

1.2.3. اللامعنـــي

يقول **مزريخ** عن هذا البعد: "اللامعنى توجد حينما يكون الفرد غير واضح بالنسبة لما يجب أن يعتقد فيه، وحينما تكون المستويات الدنيا المطلوبة من الوضوح في اتخاذ القرار غير متوفرة". (شتا، نظرية الاغتراب من منظور علم الاجتماع، 1993، صفحة 218)

ومنه، يمكننا تعريف اللامعنى بأنه: عجز الفرد عن الإدراك الواضح والفهم للمعايير الاجتماعية التي تكون غير منسجمة بين جانبيها المفاهيمي المتضمن في ما تعتقده الجماعة وبين واقع الممارسة الفعلية لها، فتعجز عن إقامة توقعات ثابتة للسلوك المرغوب، وتفقد معناها في توجيه السلوك واتخاذ القرارات عند الفرد.

2.2.3.اللامبالاة الثقافية

هو حالة من تشوه إدراك القيمة الحقيقية للثقافة ودورها في حياة الأفراد من حيث إعدادهم لأدوارهم ومراكزهم الاجتماعية (سقاوي، 1988، صفحة 82،81)، مما يترتب عنه ضعف المشاركة في الأعمال الثقافية أو الإنتاج الثقافي داخل المجتمع، وكذا ضعف المبالاة بالمقياس الثقافي في الحراك الاجتماعي في مقابل مقاييس أخرى كالمحسوبية والرشوة وغيرها من الأساليب التي تمثل اللامعيارية.

3.2.3.التمركز حول الذات

يقصد به انشغال الفرد بتحقيق أهداف فردية لا تراعي الجماعة التي ينتمي إليها، ما يؤدي إلى الابتعاد عن الواقع والشعور بالقلق وعدم التقبل من الآخرين. (فادية، 2001، صفحة 26)

ويمكن تعريفه أنه إخفاق الفرد في الشعور بالأهداف الاجتماعية القائمة على الأسس الثقافية المشتركة للجماعة وأهمية المساهمة في تحقيقها نتيجة ضعف انتمائه إلى المجتمع، في مقابل السعي لتحقيق أهداف شخصية بوسائل شخصية أو اجتماعية.

4.2.3.اللامعيارية

يقصد به شعور الفرد بعدم تقبل قيم ومعايير السلوك السائدة في مجتمعه، وسعيه إلى تحقيق أهدافه وغاياته الشخصية وفق وسائل مخالفة لثقافة الجماعة التي ينتمي إليها، يسميه **إميل دوركايم** الأنومي ويرى أنه حالة مؤقتة من الخروج عن المعايير المقبولة اجتماعيا تنتج عن التغير الثقافي المتسارع، حيث تفترض النظرية البنائية الوظيفية عموما وجود نسق ثقافي موحد داخل أي مجتمع

يحدد نماذج من المعايير التي توجه السلوك الاجتماعي للفاعلين بشكل يجعله يتلاءم مع الثقافة السائدة وأي خروج عن هذه النماذج التي يضعها المجتمع يعد سلوكا لامعياريا. (هرمان، 2010، صفحة 79)

عرف **سيمان** هذا البعد أنه: "الحالة التي يتوقع فيها الفرد بدرجة كبيرة أن أشكال السلوك التي أصبحت مرفوضة اجتماعيا غدت مقبولة تجاه أي أهداف محددة، أي أن الأشياء لم يعد لها أي ضوابط معيارية، ما كان خطأ أصبح صوابا، وما كان صوابا أصبح ينظر إليه باعتباره خطأ من منطلق إضفاء صبغة الشرعية على المصلحة الذاتية للفرد وحجبها عن المعايير وقواعد وقوانين المجتمع". (خليفة، 2003، صفحة 38)

5.2.3.العزلـة الثقافيــة

يعني انعزال الفرد عن القيم والمعاير والعادات والتقاليد، المعتقدات التي لها قيمة داخل المجتمع والإحساس اتجاهها بالنفور والتقليل من قيمتها وأهميتها، واعتزال كل ما يمثلها من أقوال أو أفعال وحتى الأفراد الذين يتمثلونها في سلوكياتهم داخل المجتمع وبالتالي يضعف التفاعل الاجتماعي وتغيب الثقة في العلاقات الاجتماعية بالنسبة للفرد. (عصار، 1984، صفحة 180)

6.2.3.العجــز الثقافي

يعني العجز، شعور الفرد بغياب القدرة على التأثير في مجريات الأحداث والتحكم في أموره وان هناك قوة خارجية تحدد مصيره وتسيطر عليه كالحظ. (سليمان، 2007، صفحة 14)

يرى **علي حرب** أن **العجز الثقافي** هو حالة من الضعف، والعجز يصيب ثقافة مجتمع ما باعتبارها منبع المعنى ومصدر القوة، ويظهر في المظاهر المتعلقة بالجانب الفكري والمادي للثقافة مثل غياب القدرة على إنتاج الرموز واللغات والمعارف التي تشكل عالم الدلالة والأفكار وكذلك العجز على صوغ القواعد والمؤسسات التي تنظم العيش والتفاعل الاجتماعي والعجز على اختراع الوسائل والأدوات والوسائط التي تشكل الواقع الفعلي للتفاعل. (حرب، 2005، صفحة 154)

تأسيسا على ما سبق، يمكن تعريف العجز الثقافي بأنه العجز النفسي والفكري للمجتمع عن إنتاج الأفكار والمعاني التي توجه أفراده نحو التخطيط لحياتهم وحل مشكلاتهم وفق أسس وقواعد ثقافة المجتمع، مما يؤدي إلى عجزهم على تسيير أمور حياتهم

العملية والفكرية انطلاقا من الوسائل والأهداف المحددة في الثقافة المشتركة للمجتمع، وشعورهم أن أفكار الثقافة الخارجية تسيطر على توجيه حياتهم.

3.3.أنواع الاغتراب الثقافي

يمكن تصنيف أنواع الاغتراب الثقافي إلى:

1.3.3.من حيث درجة الشمولية

– اغتراب ثقافي جزئي (بسيط)

يعبر عن هذا النوع ما تكلم عنه **مالك بن نبي** في وصفه للوضع الذي يفرض على الفرد تعلم ثقافة غير ثقافته، عندما وصف المهاجرين الجزائريين بفرنسا قبل اندلاع الثورة ممن كانوا لا يملكون القدرة على جعل أبنائهم يتواصلون مع وطنهم وثقافتهم ويجبرون على تعليمهم في مدارس لا تعلمهم شيئا عن تاريخهم أو ثقافتهم فيقول في وصف حال أم جزائرية مهاجرة بفرنسا سنة 1954م والتي أجبرت على أن ترسل ابنها ليغترب عن ثقافته: "لقد كانت المرأة هذه ترى، والأسى يفتت قلبها، أن أطفالها لا يجدون في المدرسة التي يترددون عليها في باريس، أي معلومة عن تاريخ بلادهم، ولا أي توجيه ثقافي يتلاءم مع عادات وتقاليد الوطن ولا أي شيء يربطهم بمصيره" (بن نبي، مشكلات الحضارة:بين الرشاد والتيه، 2002، صفحة 58)، ومنه فالاغتراب الثقافي الجزئي يحدث على مستوى السلوك حين يتعلم الأفراد كيف يسلكون وفق معايير مخالفة للثقافة الأصلية للوطن، حيث يفكك ذلك الالتزام القائم على قواعد الثقافة الأصلية بين الفرد والمجتمع، فتتغير سلوكيات الأفراد وتنتج سلوكيات تتعارض مع الثقافة الأصلية، في حين تظل المفاهيم على حالها، وتعبر درجة إخفاق المجتمع في مواجهة مشكلاته بمختلف الميادين عن درجة أزمته الثقافية. (بن نبي، مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة، 2002، الصفحات 90-92)

– اغتراب ثقافي كلي (معقد)

ويكون تأثير هذا النوع في نفس وفكر وسلوك الفرد وبناء المجتمع عميقا، بحيث يدرك فيها الفرد الموت الكلي لثقافة مجتمعه من حيث فاعليتها ووصولها إلى نقطة اللارجوع، فلا يعود يعيرها أهمية ويعزو فشله في الحياة إلى التمسك بها، ويهاجر نفسيا إلى ثقافة أخرى يتلقى منها آليات تسيير أمور حياته، فيصبح غريبا على ثقافة انتمائه وهو يعيش ضمنها، كما لا يعود يملك انتماءا

حقيقيا إلى أي من الثقافتين، إذ لا ينفصل كليا عن ثقافته لأنه يعيش ضمنها ولا يتصل بالثقافة الأجنبية كليا، ويؤثر هذا الوضع سلبا على المجتمع ككل فتنعكس فيه الموازين ويعجز عن حل مشكلاته داخل حدوده وكذا يعجز عن التواصل مع الآخر خارج إطار العقد النفسية من نظرية المؤامرة إلى نظرية الانسلاخ عن الأصل و إهانة الكرامة، ويكون هذا الوضع نتيجة حرمان الفرد من جو ثقافي سليم داخل مجتمعه منذ البداية. (بن نبي، مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة، 2002، صفحة 92)

2.3.3.تصنيف على أساس طبيعة تأثيره

– اغتراب ثقافي ايجابي

هو اغتراب الفرد عن الثقافة المريضة في مجتمعه، ويظهر في شكل نقد الفرد للأوضاع الاجتماعية التي تخرج عن الالتزام بعقد الثقافة ورفضه الانصياع إلى المعايير التي تفرضها ثقافة الواقع، ويعتبر الاغتراب الثقافي الايجابي أحد هذه الاستجابات لأنه يعمل على إعادة العقد الثقافي بين الأفراد والمجتمع إلى وضعه السليم وتصحيح الجو الثقافي بالمجتمع حيث لا يقف الاغتراب الثقافي الايجابي عند حدود النقد بل يعمل على التغيير والتصحيح للوضع ما أمكنه. (بن نبي، مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة، 2002، الصفحات 90-93)

– اغتراب ثقافي سلبي

يتمثل في استجابة سلبية من الفرد أو المجتمع تجاه الأزمة الثقافية والتفكك في عقد الالتزام بين الفرد والمجتمع، ويظهر في صورتين على المستوى الفردي، فالحالة الأولى يكون الفرد رافضا للوضع لكنه يستسلم للواقع ولا يسعى للتغيير ويظهر عليه الانسحاب والتقوقع السلبي، أما الحالة الثانية ينفصل فيها الفرد على ثقافة المجتمع ويتبنى ثقافة مضادة، يتمركز حول المصلحة الذاتية ويغيب عنده الشعور بالمسؤولية الاجتماعية تجاه الوضع المتأزم لأنه يفقد الانتماء النفسي للمجتمع وثقافته، أما المستوى المجتمعي فيظهر مثلا في شكل تعمية على المشكلات القائمة من قبل السياسيين الذين يلجؤون إلى الانتهازية وإخفاء الواقع باسم الواقعية لمواجهة الأوضاع المتأزمة، أو إلى استيراد حلول جاهزة غير قادرة على مجابهة التحديات القائمة لتعارضها مع الثقافة السائدة. (بن نبي، مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة، 2002، صفحة 94)

4.3.مراحل الاغتراب الثقافي

1.4.3.مرحلة التهيؤ للاغتراب

تكلم **هيجل** عن الحالة الأولى باعتبارها مدخلا لمرحلة التهيؤ للاغتراب وبين أن فقدان المعرفة يؤدي إلى فقدان السيطرة على مجرى الحياة والعجز عن الانجاز عند الفرد ، حيث يرى **هيجل** أن الفرد الذي يصبح عاجزا عن معرفة أو إدراك القوانين التي تفرض عليه كقواعد للسلوك يفقد معرفة ذاته كوحدة منسجمة من خلال فقدان الحرية، وتعد كل من فقدان السيطرة، اللامعنى واللامعيارية أهم أبعاد الاغتراب الثقافي السائدة في هذه المرحلة، يرتبط فقدان السيطرة بقابلية أهداف الشخص للإنجاز، اللامعنى بقابلية الهدف للتنبؤ واللامعيارية نتيجة لهما حيث تصبح في هذا الوضع الوسائل الغير مشروعة مفيدة وفعالة في تحقيق الأهداف بالنسبة للفرد. (شتا، نظرية الاغتراب من منظور علم الاجتماع، 1993، الصفحات 341-343)

ويرى **مالك بن نبي** أن الأزمة الثقافية وحدوث الاغتراب الثقافي في أول مراحله يكون في شكل اغتراب معرفي للفرد عن الإطار الثقافي نتيجة وجود شكلين من الجو الثقافي غير السليم والذي يمكن أن يسود المجتمع **الشكل الأول** ينتج عن سعي المجتمع لحرمان الفرد من حقه في المعرفة والنقد والتجديد وتوظيف معرفته في انجاز الإطار الثقافي السليم المبني على خصوصية المجتمع، فلا يعود الفرد يدرك الجوانب الظاهرة والباطنة لثقافته ويفقد الانتماء للإطار الثقافي ولنظام التواصل داخل المجتمع، **والشكل الثاني** يتجاوز فيه الفرد عقد الثقافة ويخرج كليا على الالتزام بأي محددات يضعها المجتمع أيا كانت منطلقاتها، والتحرر الكلي من أي إطار مرجعي للمعرفة، فكلتا الحالتين تهيئ الفرد للاغتراب الثقافي وحدوث الأزمة الثقافية. (بن نبي، مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة، 2002، الصفحات 90-92)

2.4.3.مرحلة الرفض والنفور الثقافي

نتيجة الغموض في الحياة الثقافية بالمجتمع تتحول قوانين الثقافة إلى قوة متصارعة مع الفرد ومعادية له يسعى للسيطرة عليها، ونتيجة ما يشعر به من صراع بين ما تحدده الثقافة من أهداف واقعية وأخرى مثالية ينفر منها ولا يعود يلتزم بمحددات السلوك التي تفرضها، حيث يعتبرها دون قيمة فعلية وغير قادرة على توجيه سلوكه نحو الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها. (شتا، نظرية الاغتراب من منظور علم الاجتماع، 1993، الصفحات 341-343)

3.4.3.مرحلة التكيف المغترب

في هذه المرحلة يتجسد الاغتراب الثقافي في جانب السلوك وتظهر أغلب الأبعاد الأخرى للاغتراب، فيصبح الفرد في حالة عزلة اجتماعية حقيقية يشعر بالعجز عن إدراك وتمثل معايير ثقافته في سلوكه، لا يشعر بالانتماء لها ولا يلتزم بما تحدده من وسائل في تحقيق الأهداف إلا من باب المسايرة الاجتماعية التي يمكن أن تختفي أيضا لتظهر سلوكيات لا معيارية مضادة للمجتمع ولامبالاة ثقافية بما يمكن أن يؤمن به من معايير. (شتا، نظرية الاغتراب من منظور علم الاجتماع، 1993، صفحة 343)

وتظهر في هذه المرحلة أنماط متعددة للتكيف المغترب منها: (هدهود، 2012، صفحة 55،54)

– نمط المسايرة للقيم والمعايير السائدة في المجتمع

تظهر في شكل انسحاب سلبي للفرد من الواقع الثقافي بمجتمعه وفقدان المعنى في معيار الثقافة كأساس للحياة الاجتماعية فيظهر الفرد مسايرة غير واعية لكل ما في المجتمع من معايير وان كانت متناقضة يختار منها بحسب المواقف، فتتجسد تلك التناقضات في سلوكه الذي يظهر دون معيار ثابت وواضح يحكمه، أو ينسحب من المجتمع بالكلية ويدخل في عزلة نفسية وانطوائية يمكن أن يجعله عرضة للأمراض النفسية المتعددة كالاكتئاب.

– نمط المغايرة للقيم والمعايير السائدة في المجتمع

في هذه الحالة يتبنى الفرد معايير مضادة للمجتمع يمكن أن تكون في شكل تطرف في اتجاه معين للمعايير السائدة ينتج عنه العديد من السلوكيات اللامعيارية من حيث الوسائل والأهداف التي يختارها وتكون مضادة لاستقرار وأمن المجتمع، أو يلجأ الفرد إلى ثقافة أخرى تتيح له التعرف على جوانبها أي تكون واضحة المعالم ومنسجمة بين إطارها الواقعي وبعدها الفكري فيفضل الانتماء لها من حيث الوسائل والأهداف على الانتماء إلى ثقافة تشوش ذهنه بتناقضاتها، فالفرد بطبعة ينفر من الغموض ويفضل الانسجام والوضوح.

5.3.أسباب الاغتراب الثقافي

تتداخل في ظاهرة الاغتراب الثقافي مجموعة من العوامل والمسببات سواء المتعلقة بالإطار الاجتماعي والثقافي للمجتمع أو العوامل المرتبطة بالجوانب النفسية لأفراد هذا المجتمع.

1.5.3.الأسباب النفسيـة

يرى العديد من علماء النفس أن عجز الفرد عن الوصول إلى إشباع حاجاته ودوافعه يؤدي به إلى عدم الوصول إلى مستوى مناسب من التوافق مع نفسه ومع الآخرين، كما أنه يدفع الفرد بشكل أو آخر إلى تبني بعض الأنماط السلوكية السيئة وغير المتكيفة والإصابة بالعديد من الأمراض النفسية والاجتماعية مثل الإدمان على المخدرات والعنف والتطرف وغيرها، كما أن الصراع بين الدوافع والرغبات المتعارضة والإحباط وما يرتبط بهما من الشعور بخيبة الأمل والفشل والعجز التام وتحقير الذات والحرمان وكذلك الخبرات الصادمة التي تعيق دافع تحقيق الذات عند الفرد تؤدي إلى مجموعة من الاحباطات الأخرى (هدهود، 2012، صفحة 56،55)

بين **بن صافي حبيب** أن العنف سلوك يصل إليه الفرد بالتدرج من خلال إحباط دافع تحقيق الذات حيث ينتقل من مرحلة إلى أخرى فكلما زاد الإحباط في شدته تظهر مرحلة من مراحل السلوك العنيف إلى أن تصل إلى العنف ويوضح ذلك من خلال المخطط التالي: (حبيب، بن صافي، 2015، صفحة 244، 245)

الشدة (**Intensité**)

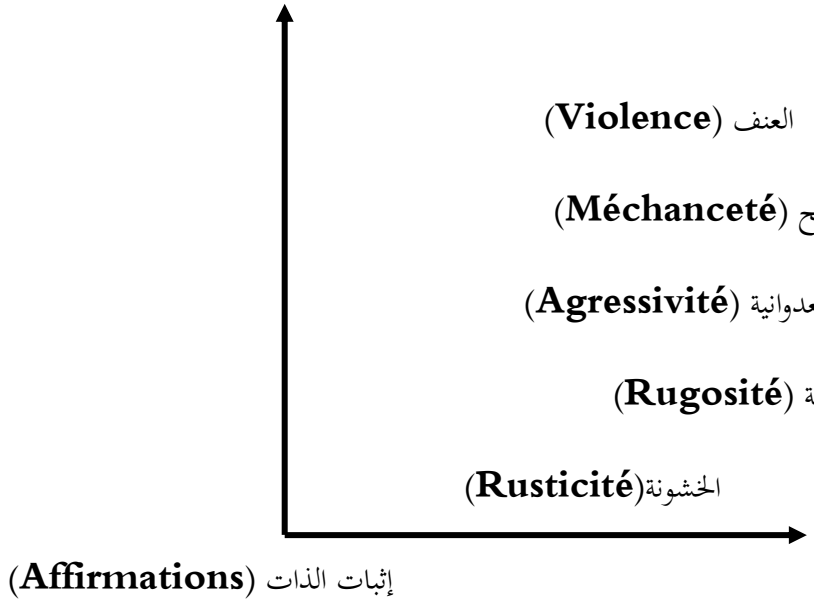

الشكل1: يمثل الاتجـاه نحـو العنـف

2.5.3.الأسباب الاجتماعية والثقافية

– الحروب والأزمات المختلفة

الشعوب التي عانت من الاستعمار تعرضت إلى عملية محاولة مسح للهوية الثقافية من قبل المستعمر، حيث هدف الاستعمار من خلال إيجاد أنماط معينة من التعليم والمناهج المقررة على أبناء الدول المستعمرة إلى إيجاد جيل ونخبة توالى الثقافة الغربية للاستعمار وتؤمن بها، فالاستعمار الفرنسي بالجزائر مثلا عمل على طمس كل ما له علاقة بالتراث الوطني من أسماء العلماء والأدباء والفلاسفة وحتى أسماء الشوارع والمدن وكانت الشخصية الجزائرية تصور في المقررات الدراسية على أنها ذليلة وتابعة، وتظهر المرأة في صورة الخادمة والرجل في صورة الراعي المسكين من اجل تلقين الفرد الجزائري كيف يحتقر نفسه وثقافته وينفصل عنها. ((السويدي، د.س.ن، صفحة 38)

ويقول **أبو القاسم سعد الله**: "إن المفردات والتعابير التي استعملها أصحاب الأقدام السوداء في صحفهم ورواياتهم.... لوصف الإنسان الجزائري هي مفردات وتعابير قد يتحرج بعض الجزائريين اليوم من نطقها أو حتى الهمس بها، ولكن آذان أهلهم وأمهاتهم وأخواتهم طالما سمعتها وتأذت منها" (سعد الله، 1996، صفحة 48)، كما أخذ الاستعمار الفرنسي من اللغة العربية و الإسلام ذات الموقف العدائي فقد أصدر في: 1938/03/08 قرار حكومي رسمي يعتبر فيه اللغة العربية في الجزائر لغة أجنبية يحظر التعامل بها رسميا، في حين سعى إلى تعليم المستوطنين والفرنسيين اللغة العربية الفصحى والعامية الجزائرية من اجل التحكم في الحياة الثقافية بالجزائر، حيث كان المتصرف المدني **بريسون** الذي خلف **جنتي دي بوسي** في الإدارة المدنية بالجزائر سنة 1836م يؤكد على ضرورة تعليم العربية والعامية الجزائرية للأوربيين المستوطنين بالجزائر، وكذا الضباط كآلية لنجاح الاستعمار ويحرم ذلك على الجزائريين، ومنه فالاستعمار في أي بلد حل به لم يركز على الهدف السياسي آو الاقتصادي فحسب وإنما تجاوز ذلك إلى الهدف الثقافي والفكري. (سعد الله، 1996، الصفحات 25-32)

يقول **فرانتز فانون**: "مادام الوضع الاستعماري قائما فإن الثقافة تنضب وتحتضر لأنها تكون محرومة من ركيزتها الأمة والدولة، وعلى ذلك فان التحرير الوطني آو القومي أو انبعاث الدولة هو شرط وجود الثقافة".(هور و سميث، 1991، صفحة 378)

- **اضطراب التنشئة الاجتماعية**

أكد علماء الاجتماع أن الأسرة الريفية في المجتمعات التقليدية السائرة نحو التحديث عندما هاجرت من الريف إلى المدينة طرأ عليها العديد من التغيرات في البناء ونظام السلطة والزواج والإنجاب والوظائف التقليدية لها كالتربية والدفء العاطفي وانتقلت من الطابع الممتد إلى الطابع النووي الذي يتكون في الغالب من زوج وزوجة وأبناء، كما تغيرت مفاهيم القرابة وتأثيرها في الأنظمة الأخرى فمثلا صار الفرد يصل إلى منصب العمل بكفاءته الخاصة وليس تبعا للجنس أو القرابة مما زاد في تهميش التواصل العائلي في مقابل زيادة استقلالية الأسرة، وقد ساهم الحراك الاجتماعي القائم على تنقل الفرد من مكان إلى آخر تبعا لمكان العمل في فصل الأسرة والفرد عن الروابط التي كانت تجمعهم بالأرض وبقية العائلة فضعف الشعور بالانتماء وحلت مفاهيم العزلة الاجتماعية كبديل في العلاقات الاجتماعية للأسرة التي لم تعد علاقاتها حقيقية وإنما مرحلية كما انفصل الفرد عن الأسرة ولم يعد

بحاجة إلى تدريبها له على العمل، فقد حلت المدرسة والمصانع والورش محل الأسرة وهذا كله أوجد قطيعة بين الفرد والأسرة صاحبها قطيعة ثقافية بين الآباء الذين ظلوا محتفظين ببعض المفاهيم من ثقافتهم التقليدية عن الانتماء والتضامن واحترام الكبير باعتباره ممثلا للسلطة التي يقوم نظامها على الولاء للقيم والمعايير والتقاليد والأبناء الذين ولدوا في البيئة الحضرية وما تتسم به من طبيعة فردانية تعزل الفرد عن ماضيه وحاضره لتوجد له دائرة محددة يتحرك ضمنها ولا يتجاوزها بشكل شبه آلي يخلوا من العواطف والمشاعر الإنسانية والولاء صار لسلطة الاقتصاد والمادة أو المركز الاجتماعي. (السويدي، د.س.ن، صفحة 89)

كما أشار **إبراهيم خاطر** إلى أن أساليب التنشئة الأسرية الخاطئة التي تقوم على أساس النمط الأوتوقراطي في التربية من شأنها أن توجد أجيال منسحبة من الواقع الاجتماعي وعاجزة عن الفاعلية، فالأسر التي تربي أبنائها على عدم التعبير عن الرأي وتمنعهم من تحديد خياراتهم المتعلقة بحياتهم مثل اختيار التخصص الدراسي ولا تشركهم في اتخاذ القرارات المتعلقة بهم أو بالأسرة، ستجعل منهم أفرادا عاجزين في مستقبلهم عن اتخاذ القرارات المصيرية في حياتهم، ويعد الانسحاب من المشاركة في الحياة السياسية مظهرا لفشل التنشئة الأسرية. (خاطر، 2014، صفحة 45)

كما أوضحت دراسات **سيلجمان** أن اغلب الأشخاص البالغين الذين دخلوا مستشفيات الأمراض العقلية والذين يشكون الاكتئاب كانوا من الذين فقدوا أمهاتهم في الصغر، فغياب الأم أو الأب يمكن أن يؤثر على تقمص المعايير الاجتماعية عند الطفل وتكون الأنا والأنا الأعلى لديه، فالمحرومين من الأم يظهرون شعورا بالقلق ولا يقدرون على الشعور بالسعادة كذلك عدم الاستجابة للآخرين بالابتسامة والانسحاب من المحيط ونشاطهم به يكون ضعيفا إضافة إلى قلة النوم القابلية للمرض. (نبوية، 2000، صفحة 57)

كما أكدت الدراسات النفسية كذلك أن العلاقات المتوترة بين الوالدين من شأنها أن توجد أجيالا عدوانية، حيث أن الأطفال الذين يشعرون بغياب الأمان العاطفي من الحياة الأسرية وفي علاقاتهم مع والديهم يصبحون خائفين من الارتباط مع الآخرين بعلاقة تبعية كما أن الاضطراب في العلاقة بين الوالدين والأبناء من شئنه أن يضعف احتمالية تقمص الأبناء لمعايير الوالدين وإضفاء الصبغة الذاتية عليها. (فرويد و وآخرون، 1986، صفحة 109)

- **الاتجاهات المتعارضة لمؤسسات التنشئة الاجتماعية**

يمكن أيضا أن تتبنى مؤسسات التنشئة الاجتماعية داخل المجتمع اتجاهات إيديولوجية وفكرية متعارضة ولا يتم التنسيق فيما بينها من أجل إيجاد ثقافة مشتركة يتم تنشئة الأجيال الجديدة وفقها إلى حدوث الاغتراب الثقافي، فمثلا وجود مؤسسات التنشئة الدينية والمدارس الخاصة الأجنبية والمدارس العامة بما تتبناه كل منها من أهداف وما تبنى عليه من إيديولوجيات يمكن أن توجد الإرباك داخل المجتمع وداخل ذات الفرد الذي يدفعه التعارض والتناقض بين معايير السلوك الواجب الالتزام بها والقيم التي يأخذها كأهداف إلى الانسحاب من المجتمع ومن الحياة الاجتماعية أو إتباع معايير مضادة للمجتمع بأكمله وتبني أهداف لا تخدم صالح المجتمع ولا تنتمي لثقافته فتضعف مقومات الثقافة المشتركة في اتجاهات وتطلعات الأجيال فيصبح الفرد يعيش ضمن ثقافة لا ينتمي لها إلا جغرافيا. (عمار، د.س.ن، صفحة 8)

كما يمكن أن تكون طبيعة المناهج التربوية مصدرا للاغتراب الثقافي حينما لا ترتبط أهدافها بالوصل بين الفرد وواقعة الاجتماعي بل تتعلق بتلقينه مجموعة من المعارف والمعلومات التي لا يدري لها علاقة بواقعه المعاش، إن المناهج التي تعمل على تنمية العقل التحليلي الذي يقدر على إنتاج الأفكار والمعاني والنقد البناء لما يتلقاه من معارف تستطيع أن تقاوم العجز الثقافي، أما التي لا تقوم إلا على استظهار وتلقين مجموعة من المعلومات فإنها ستؤدي لا محال إلى اغتراب الفرد عن الدراسة والمدرسة فلا تعود تأثر في توجيهه وتربيته التربية السليمة، أي لا تنتج عقولا متفتحة على المعارف بقدر ما هي عقول عاجزة عن التفكير بل أكثر من ذلك ترى فيه ترفا زائدا عن حاجاتها، إن الطفل بحسب ما يتلقى من تربية وتعليم ينشئ ليمثل ما تلقاه، وحال العجز الثقافي تعبر بالدرجة الأولى عن عجز في المناهج التربوية إما لخلل معين في الطريقة أو في المضمون، فالمدرسة هي المكان الذي يقضي فيه الطفل جل وقته لذا تعد مسؤولة بالدرجة الأولى عن الهوية الثقافية للمجتمع ومدى وضوحها في أذهان الأجيال الجديدة. (الحروب، 2014، صفحة 205)

وقد أكد **غوستاف لوبون** على أهمية التعليم في إنتاج الأفكار والتجديد والإبداع داخل المجتمع يقول في كتابه: **روح التربية** الذي أصدره في منتصف القرن العشرين وانتقد فيه المناهج الفرنسية القائمة على التلقين دون إعداد الأجيال الجديدة لمعترك الحياة، فقد أشار **لوبون** أن أهمية التعليم لا تكمن في تكديس المعلومات وإرهاق العقول بالنظريات بقدر ما تتعلق بإنتاج العقول المنتجة للنظريات، أي التركيز على الكيف لا على الكم. (الحروب، 2014، صفحة 206،205)

وهذا ذات ما تعانيه مدارسنا في الجزائر فتكديس المعلومات وطريقة الاستظهار تكاد تجعل الفرد ينسى أن لديه عقلا يفكر، ففي المدرسة يشكل الفرد هويته الذاتية والثقافية ومنها ينطلق إلى الحياة الاجتماعية ليبدع وينتج الأفكار التي يتطور بها ويطور مجتمعه أما مدارسنا ففيها يتعلم العجز ومنها ينطلق إلى ثقافة أكثر قسوة في تناقضاتها وهي ثقافة الشارع فلا يجد بدا من الانطلاق نحو كسب الرزق من منطلق غريزة البقاء.

ويرى **زهير الحروب** أن مشكلة المناهج في الدول العربية هي اعتمادها على طريقة الاستذكار التي لم تنتج طلبة عاجزين فحسب، بل أنتجت معلمين عاجزين بالمثل عن القراءة ويهربون منها، فمعلم التوجيهي لا يحفظ إلا مادة التوجيهي ومعلم الصف العاشر لا يعرف أكثر من مستوى هذا الصف، قد صار المتعلم لا يتعلم إلا القدر الذي يضمن له وظيفة يقتات منها (الحروب، 2014، صفحة 207،206)

- **تدهور نظام القيم وصراع المرجعيات الثقافية**

يرى **حاج حمد** أن الشباب المصري في مطلع السبعينيات وجد نفسه بين اتجاهات إسلامية تكفيرية اتخذت الاغتيالات سبيلا للتطوير والصحوة، مثل اغتيال وزير الأوقاف الأسبق في مصر **الشيخ الذهبي** عام 1977م، وبين فقهاء الأنظمة الذين يرون الصبر على التخلف واعتباره قضاء وقدر وانتظار أن يجد ولاة الأمور الحل بعيدا عن إشراك الشباب الذي لا يحاورونه إلا على اعتباره جاهلا متهورا وغير واعي، دفع الشباب إلى التطرف ناحية الاتجاهات التكفيرية على اعتبار أنها تعطيه ثقة في قدرته على التغيير حتى وان كان السبيل خاطئا والابتعاد عن الاتجاه الثاني الذي لا يمكنه من تحقيق ذاته أو الوصول إلى تقدير الذات، واتهامهم بموالاة السلطة، فمثل هذه الصراعات بين النخب لا تمكن الشباب من توجيه طاقاته إلى الصالح العام والمشترك ولا يمكن أن تحدث الصحوة في هكذا جو مسموم والطاقة التي يحملها الشباب إن لم توجه إلى الصالح العام. ستصبح قوة مدمرة إن عاجلا أو آجلا للذات والآخر، فالعزلة الثقافية التي يعاني منها الشباب ستدفعهم إلى الاجتهاد لأنفسهم وإيجاد حلول عفوية تعبر عن عدم امتلاكهم للمعرفة وتعبر من ناحية أخرى على الطاقة الايجابية التي يحملونها من أجل التغيير للأفضل. فالندوات والمؤتمرات التي تدعو للصحوة الإسلامية لا تمكن الشباب من توجيه العمل حيث أنها توجه الفكر في إطار ضيق لا يعطي آلية للعمل، حيث صارت تركيزها على القول دون الفعل يحكمها منطق (يجب) دون تحديد الكيفية التي يجب بها العمل مثل محاولات كل من

الفقيه الشاطبي و**برهان غليون** اللذان حاولا تقديم قراءة جديدة للنص التراثي وفق مناهج المعرفة الحديثة دون أن يحددوا آليات العمل، وينطبق ذلك على حالات كثيرة، فالدراسات والقراءات التي لا تنطلق من منطلق تأسيسي يهدف إلى الجمع بين الفكر والعمل ضمن إطار الاختلاف البناء لا يمكن أن توجد صحوة إنما ستظل توجد شباب مغتربا وقوة تدمر ذاتها والآخرين. (حاج حمد، 1997، الصفحات 397-404)

ويؤكد **الجابري** " أن الواقع الثقافي العربي صار يعاني ثنائية حادة بين ما هو عصري وما هو تقليدي على جميع مستويات الفكر والثقافة، ثنائية تزداد مع الأيام لتكرس في المجتمع العربي مشرقا ومغربا، انشطارا خطيرا وقطيعة فضة بين ما هو قديم تقليدي والجديد الحديث تحولت في بعض الأقطار العربية إلى حرب أهلية بين طرفين يرفع احدهم شعار(الأصالة) بينما يلوح الآخر براية (الحداثة)، ومع الصراع الثقافي بين المرجعيات المتعددة صار من العسير إيجاد مرجع واضح ومحدد للسلوك عند الشباب وهذا التضارب والتعارض من شأنه أن يوجد الاغتراب الثقافي أين يصبح الفرد داخل هذه المجتمعات عاجزا على تحديد هويته الثقافي ومرجعية سلوكه، كما يمكن أن ينتج الاغتراب الثقافي من غياب التواصل بين العقل المثقف أو النخبة والجماهير العامة (الزبود، 2006، صفحة 106،107)

ويرى **غليون** أن من أهم أسباب الاغتراب الثقافي هو تدمير منظومة القيم والمعايير المشكلة للوحدة الاجتماعية نتيجة الانتقال من الطابع التقليدي للمجتمعات إلى الطابع الحداثي الذي استبدل التوازن الثقافي التقليدي بتوازن اقتصادي هش مما سهل عملية الدمج الثقافي للمجتمعات العربية ضمن الثقافة الغربية وذلك بتراجع المنظومة القيمية الأولى في نسق القيم لتحل محلها منظومة القيم الاقتصادية الاستهلاكية والوقتية التي لا تحقق وحدة بقدر ما تخلق تنافرا وصراعا فكان الاغتراب الثقافي، ومنه سبب الاغتراب الفكري للنخبة اغترابا روحيا للجمهور، حيث أكد **غليون** على أن الصراع القيمي الذي أنتجه صراع المرجعيات الثقافية التقليدية والحداثية داخل المجتمعات العربية سبب غياب نظام قيمي مرجعي مشترك على جميع الأصعدة الثقافية كالعادات والتقاليد وغيرها فظهر الصراع من اجل السلطة والأهواء والمصالح الفردية وغاب أي معنى في الحياة الاجتماعية، حيث فقدت كل من القيم التقليدية والحداثية تماسكها على السواء وانعكس ذلك على غياب الفاعلية والمعنى من جميع الأنشطة والفعاليات الاجتماعية والتوجه نحو السلطة والهيمنة والقوة كوسائل لتحقيق المكانة، فلم تعد إلا السلطة قيمة ممكنة، كما تحول الرأس المال

الثقافي إلى تجارة عند النخبة وزال التفكير والإنتاج الثقافي الجاد وساد فكر احتكار الثقافة كوسيلة للسلطة والهيمنة والمال. (غليون، 1986، الصفحات 122-281)

- **البعد عن الدين والضعف الأخلاقي**

يرى **مالك بن نبي** أن المسلم لم يتخلى قط عبر العصور عن عقيدته الإسلامية لكن الاغتراب الذي صار يعاني منه هو نتيجة الازدواجية في الفكر التي جعلت الدين والقيم الدينية تفقد فاعليتها حينما انفصل الفرد عن روابطه الاجتماعية التي هي قوام الدين الإسلامي لصبح إسلامه فرديا مقتصرا على طقوس يمارسها دون أن يعي بعدها الاجتماعي، حيث غابت القيم الحضارية للإسلام تحت أثقال العادات والتقاليد البالية ثم جاءت القيم الفردية للحضارة الغربية لتقطع آخر صلة للمسلم بروح دينه وتجعل الأجيال الجديدة جسدا بلا روح بانفصاله عن الجماعة، فالاغتراب الثقافي يحدث عندما تفقد القيم والمعايير بعدها التاريخي والاجتماعي في نفس الفرد فينبذها. (بن نبي، مشكلات الحضارة: وجهة العالم الاسلامي، 2002، الصفحات 36-56)

- **سؤ الأحوال الاقتصادية وتدني مستوى المعيشة**

تكلم **كارل ماركس** عن اغتراب العامل عن منتجه وعمله بسبب علاقات العمل الجائرة التي يفرضها أصحاب العمل في النظام الرأسمالي والذي ينتقل فيما بعد ليشمل كافة نواحي الحياة الاجتماعية الأخرى الثقافية والفكرية والسياسية (عبد الفتاح، 2006، صفحة 47)، فطبيعة النظام الاقتصادي الرأسمالي توجد طبقية في المجتمع وفوارق اجتماعية كما توجد ثقافتين متمايزتين فتضع وسائل وأهداف ومعايير لطبقة العمال تختلف عن تلك الوسائل والأهداف والمعايير التي تضعها للطبقة المالكة لرأس المال، فتظهر اللامعيارية كرد فعل متوقع للظروف البائسة التي توجدها ازدواجية المعايير في المجتمع التي تسقط العديد من المحرومين والفقراء في قسوة الهامشية (توفيق قمر و آخرون، 2008، صفحة 57)

ويشمل هذا السبب أيضا سوء الأوضاع الاقتصادية التي قد تدفع الفرد إلى البطالة والعيش على هامش المجتمع خاصة إذا كان المجتمع يقيم الفرد وفق معايير لا ترتبط بالخبرة أو درجة التأهيل بقدر ما تتعلق بالمحاباة والعلاقات الشخصية يقول **محمود عبد الفضيل**: "عندما يجد هؤلاء الذين لا يعملون زملاءهم يعملون لا لسبب إلا أنهم يمثلون ما أطلق عليه البعض رأس المال الرمزي الممثل في رأسمال اجتماعي أو ثقافي أو صلات والتي تتيح للفرد أن يحصل على وظيفة معينة لا يستطيع غيره الوصول

إليها فإن ذلك تكون انعكاساته على انتماءات الفرد وولائه"، فذلك من شأنه أن يوجد فردا ناقما على المجتمع ولا يقيم لمعاييره وزنا نتيجة الشعور بالظلم فيفقد الانتماء إلى المجتمع وثقافته ويمكن أن يتحول إلى عنصر هدم فيه وتظهر عليه أعراض الاغتراب الثقافي من اللامبالاة والعجز الثقافي وعدم القدرة على تحمل المسؤولية، كما يمكن أن يؤدي سؤ الأوضاع الاقتصادية في المجتمع إلى أن يسود اختيار العمل على أساس الصدفة بدافع الحاجة وعدم مناسبة العمل للقدرات ما يسبب سوء التوافق المهني والانفصال عن العمل نتيجة البطالة المقنعة. (السيد وحافظ، 2009، صفحة 42)

6.3.خصائص الاغتراب الثقافي

للاغتراب الثقافي مجموعة من الخصائص المميزة له عن باقي أنواع الاغتراب الأخرى خاصة الاغتراب النفسي وهي:

1.6.3.أزمة في الهوية الثقافية

يقول **ادوارد تي.هول**: "إن الثقافة تتحكم بالسلوك بطرق متعمقة ومستمرة، والعديد من هذه الطرق هي خارج الإدراك وبالتالي بعيدة عن سيطرة وعي الفرد" (ادوارد، 2007، صفحة 33)، والاغتراب الثقافي يعبر عن أزمة تنتج من اختلال في الالتزام بالعقد الثقافي بين الفرد والمجتمع من أحدهما (بن نبي، مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة، 2002، صفحة 94)، بصورة تؤثر على الهوية الفردية للأفراد ويقول **حسن حنفي** في وصف أزمة الهوية الثقافية داخل البلدان المستقلة حديثا والتي أخذت بالمنطلقات الفكرية للمستعمر بعد استقلالها: "لقد هدمنا كل شيء، وكفرنا بكل شيء، ولم يعد هناك قضية يمكن الدفاع عنها، ومن ثمة استحالة تربية المواطن، وصعب إيجاد إطار مرجعي يمكن الرجوع إليه، أو معيار يمكن القياس عليه، ولقد أنهينا كل شيء بأيدينا، وحطمنا مثل أجيال عديدة، وهززنا قناعات ربينا عليها، وراحت ضحيتها ألوف الشهداء، ما دافعنا عنه في الماضي أصبح موضوع شك وعدم اكتراث مثل الاستقلال الوطني، ما حاولنا التخلص منه في الماضي بما في ذلك التخلص من المستعمر وطرد المحتل أصبح الآن موضوع نداء واستجداء، لقد انقلبت الموازين رأسا على عقب، وتحولنا مائة وثمانين درجة من الشيء إلى نقيضه". (هور وسميث، 1991، صفحة 405)

2.6.3.ينتج عن الصراع الحضاري

لا يرتبط الاغتراب الثقافي بالصراعات النفسية التي يمكن أن يعاني منها الأفراد بقدر ما يرتبط بالصراع الحضاري داخل مجتمع ما بين ثقافة محلية وأخرى أجنبية، أي أنه يرتبط بأسباب موضوعية خارجة عن ذات الفرد، حيث يرى **مالك بن نبي** أن الأفراد يتكيفون مع البيئة التي يعيشون ضمنها، وبتالي فالمجتمع الذي لا يوفر للأفراد جو ثقافيا سليما من التناقضات والاضطرابات لابد أن تكون فيه أزمة ثقافية على مستوى الأفراد. (مالك بن نبي، مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة، 2002، ص93)، يقول **برهان غليون** أن أخذ السياسات العربية بإطار التفكير الغربي بعد الاستقلال أدى إلى تفكيك الثقافة كبنية اجتماعية، أي أنه فكك القاعدة الثقافية المشتركة وأوجد محلها ثقافات فئوية وفردية ترتبط بالدفاع عن مصالح أيديولوجيات فردية أو فئوية متصارعة فيما بينها فحينما تم ربط الثقافة بالأيديولوجيات الفردية فقدت بعدها الاجتماعي وانقسم المجتمع إلى فئات وأفراد لكل قيمه ومرجعيته التي تسعى إلى السيطرة الاجتماعية وهذا بالنسبة له سبب كل تخلف واغتراب.(غليون، 1986، صفحة 58،57)

وقد ذهب **جيرار ليكلرك** إلى أن الإيديولوجيات العلمانية أوجدت جماعات اجتماعية وثقافية فصلت الدين عن المجتمع لتجعله شئنا خاصا وفرديا أي أنها سحبته من الوعي الجمعي داخل المجتمعات لتحل محله العلوم الوضعية والآراء الفردية. (ليكلرك، 2004، صفحة 426،425)

3.6.3.أبعاده تتعلق بالعلاقة بين الفرد وثقافته

يعبر الاغتراب الثقافي في أبعاده عن خلل في العلاقة بين الفرد وثقافة انتمائه، فهو يتجاوز العلاقة بين الفرد وذاته إلى مستويات أشمل ترتبط بانتماء الفرد الثقافي سواء على مستوى انتمائه الجغرافي، أو على مستوى انتمائه الحضاري.

4.6.3.يسبب العجز على مستوى الفرد والمجتمع

لا يرتبط الاغتراب الثقافي من حيث نتائجه وآثاره بالإطار النفسي والشخصي للأفراد كفاعلين داخل المجتمع، وإنما تشمل نتائجه المستوى الفردي والاجتماعي معا، أما المستوى الفردي فيظهر في صورتين رئيسيتين، ترتبط الأولى بالانسحاب السلبي والتقوقع والعزلة الاجتماعية والثانية ترتبط بالتمرد وإتباع الفرد لثقافة مضادة للمجتمع، أما على مستوى المجتمع فيظهر في عجزه عن حل مشكلاته داخل حدوده، والعجز عن التعايش أو التفاعل مع الحضارات الأخرى إلا من خلال عقد نفسية تعرض الشخصية للتلف أو كرامته للمهانة، كما يلجأ إلى عملية استيراد الأفكار من خارج حدوده كإقرار صريح منه بعجز الثقافة المحلية

على إيجاد الحلول المناسبة، فيؤدي ذلك إلى انقسامات داخل الإطار الثقافي تهز قناعات أفراد المجتمع بالثقافة المحلية ومنطلقاتها الفكرية. (بن نبي، مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة، 2002، صفحة 94)

5.6.3.علاجه يتطلب اصلاح البيئة الثقافية بالمجتمع

إن الاغتراب الثقافي عند **مالك بن نبي** هو حالة من التكيف اللاسوي للفرد نتيجة وضع أو جو ثقافي لا سوي لذا فعلاجه لا يتوقف على الإرشاد والتوجيه أو العلاج النفسي للأفراد وتوعيتهم بأهمية المعايير الاجتماعية والالتزام الاجتماعي ، ولكن يكون بإصلاح البيئة الثقافية ، وفي المستويات المعقدة يرتبط الإصلاح بالثورة الثقافية الشاملة مثلما فعل **ماوتسي تونغ** في الصين، لأن الأزمة تكون قد وصلت إلى نقطة اللارجوع. (بن نبي، مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة، 2002، الصفحات 91-94)

7.3.مظاهر وآثار الاغتراب الثقافي

1.7.3.المستوى النفسي

من مظاهر الاغتراب الثقافي على المستوى النفسي: (مريزيق، 2008، صفحة 154)

انفصال الفرد عن بيئته الاجتماعية وما بها من علاقات وعدم قدرته على التمييز بين الخيارات الاجتماعية التي يضعها المجتمع من الأهداف والوسائل التي يحقق من خلالها ذاته.

لا يعود يشعر بالمعنى لوجوده الاجتماعي ويتمركز حول تحقيق أهداف ذاتية على حساب الجماعة التي يحيا بينهم من خلال إتباع الأساليب غير المشروعة اجتماعيا

الانسحاب من المجتمع والعجز على التفاعل مع قضاياه العامة ومشكلاته بإيجابية.

وقد بين **مالك بن نبي** أن الأزمة الثقافية تترك آثارا على الفرد والمجتمع على حد سواء، حيث أنه يجعل الفرد شبه فاقد لمقومات إنسانيته التي يكتسبها من خلال الإطار الثقافي للمجتمع، ويصبح يسعى إلى التكيف مع الأوضاع الجديدة من خلال أنماط سلوكية مرضية نابعة من أهوائه الفردية بسبب فقدانه للعقل الثقافي الجمعي الموجه له نتيجة استبدال معيار القيم الثقافية في الحراك الاجتماعي بمعيار المصلحة الفردية، فتظهر عليه علامات اليأس والتقوقع والعجز عن تحمل المسؤولية وكذا العجز عن التفاعل الاجتماعي. (بن نبي، مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة، 2002، صفحة 92،93)

وقد بين كل من **توماس وزنافيكي** من خلال دراستهما لأثر الاغتراب الثقافي الذي يعانيه المهاجرين البولنديين الذين هاجروا إلى منطقة تختلف عن منطقتهم في الثقافة وأصبحوا مجبورين على التأقلم مع ثقافة جديدة أنهم صاروا يعانون من التفكك الشخصي. (مُحَمَّد و إسماعيل، 2003، صفحة 19)

2.7.3.المستوى الاقتصادي

بين **مالك بن نبي** أن اقتصاد أي بلد يتضمن معادلة اجتماعية نابعة من وعيه الحضاري و الاغتراب عن الوعي الحضاري عند أفراد المجتمع له مظاهر وآثار على مستوى الاقتصاد عندما يصبح الأفراد مقلدين لغيرهم من الثقافات في الحاجات التي لا تصدر عن إطارهم الحضاري ،كما أن هذا التقليد يقوم على الطابع الاستهلاكي فالأزمة الثقافية تسبب عجز العقول عند الأفراد عن إنتاج الأفكار التي يواجهون بها مشكلاتهم الاقتصادية، فلا يعود المجتمع غير قادر على الخروج من دائرة استيراد الأفكار كلما واجهته مشكلة اقتصادية ولا تقدر قيادات الدولة على الاعتماد على حلول محلية بسبب العجز الثقافي للأفراد وعدم قدرتهم على الابتكار، يرى **مالك بن نبي** أن الانفصال بين الإرادة الحضارية والنشاط الاقتصادي في بلد ما يسبب العجز في هذا القطاع الهام حتى ولو وفرت له أموال الدنيا وكل الإمكانات المادية، يقول "فالعلاقة النسبية بين الإمكان الحضاري والإرادة الحضارية علاقة سببية تضع الإرادة في رتبة السبب بالنسبة للإمكان". (بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، 2000، الصفحات 7-62)

3.7.3.المستوي الاجتماعي

ذهب **مالك بن نبي** إلى أن الاغتراب الثقافي يظهر على المستوى الاجتماعي في ظهور اللامعيارية، حيث يفترض أن يقوم الحراك الاجتماعي على أساس التوازي بين سلم القيم الثقافية والسلم الاجتماعي اللذان يسيران في المجتمع المتوازن في اتجاه واحد من الأسفل إلى الأعلى فكما ارتقى الفرد في سلم الثقافة لازم ذلك ارتقائه في السلم الاجتماعي وتكون المراكز الاجتماعية موزعة بحسب درجات الثقافة أما في المجتمعات التي تعاني أزمة ثقافية بلغت درجة اللارجوع، فإنه ينعكس اتجاه المسلمين انعكاسا كليا بحيث يصبح الأفراد الذين هم في قاعدة المجتمع أثرى ثقافيا على الأقل من الناحية الأخلاقية من قيادات المجتمع، فتلجأ هذه القيادة العاجزة ثقافيا إلى استيراد الأفكار الجاهزة من مجتمعات تختلف عنه في أطر الثقافة القائمة مما يزيد في حالة الأزمة الثقافية داخل المجتمع حيث لا يعود المجتمع قادرا على التعايش مع باقي الثقافات إلا من منطلقين متناقضين كل منهما أسوء من الآخر

فالأول منطق التقوقع والتعصب الثقافي والثاني الانهزامية أمام ثقافة الآخر، فالأول يعرض الشخصية للتلف وعدم النمو والثاني يعرض الكرامة للمهانة. (بن نبي، مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة، 2002، صفحة 94)

كما ذهب **جيرولد** أن الفرد الذي يشعر بالانقسام والتصدع في هويته يلجا إلى الانضمام المتطرف إلى جماعة من اجل تقوية تماسك الهوية المتصدعة والإحساس بالأهمية جراء هذا الانتماء، فالانتماء حاجة طبيعية عند جميع الأفراد لكنها يمكن أن تتحول إلى حالة مرضية إذا عجز الفرد عن تحقيق حاجة الأمن. (توفيق قمر و آخرون، 2008، صفحة 138)

كما يمكن أن يدفع الاغتراب الثقافي الجماعات الاجتماعية إلى التمركز حول المصالح الفئوية أو الفردية والعدوان والتفكك الاجتماعي فهو يقوم أساسا على الصورة النمطية التي تمثل المكون المعرفي الموجه لسلوك المتعصب (الشرجي، 2005، الصفحات 226-231)

4.7.3. المستوى السياسي

ويقول **ريتشارد نيكسون**: "من السمات الأساسية لأسلوبنا في الحياة إيماننا بأنه عندما يعمد الحكام إلى الاستئثار المنظم بالمعلومات، التي هي حق خالص لجمهور الشعب، فإن أفراد الشعب سرعان ما يصبحون في وضع يجهلون معه كل ما يتعلق بشؤونهم الخاصة، كما سيفقدون الثقة في هؤلاء الذين يسيرون أمورهم، وسيفتقرون في نهاية الأمر إلى القدرة على تحديد مصائرهم الخاصة". (أ.شللر، 1999، صفحة 175)

بين **مالك بن نبي** أن الإطار الفكري للسياسية الذي يغلب المصالح الفردية أو الفئوية لن يستطيع تحقيق الانسجام بين اتجاهاته المختلفة وهذا ما يعد من أهم دوافع نشأة الدكتاتورية والسعي لتحقيق مصالح خاصة مما يجعل الدولة تحيد عن تحقيق أهداف الأمة وتنفصل عن الوطن وأفراده، ويعد هذا من أهم العوامل المسببة لذيوع الاتجاهات المغتربة سياسيا والمنسحبة من الحياة السياسية بين أفراد المجتمع ويسبب أزمة ثقة لا تمكن السياسة الموجهة للعمل والفكر داخل المجتمع من التأثير الواضح في الواقع الملموس للحياة المعاشة، لأن ذلك يعتمد بالضرورة على التعاون بين الفرد والدولة وبغياب هذا التعاون تغيب الفاعلية المرجوة للأهداف، فتصبح العلاقات الاجتماعية على حد قول **مالك بن نبي** تقوم على شعار:"**عليك خاصة نفسك**". (بن نبي، مشكلات الحضارة: بين الرشاد والتيه، 2002، الصفحات 81-84)

كما يرى **مالك بن نبي** الاستعمار فشل في أن يجعل أفراد الشعوب المستعمرة تتبعه في أهدافه لأنها لم تكن ترى فيها إلا مصالح خاصة بالمستعمِر ولا تشعر بانتمائها لها، كما أنها كانت تختلف في منطلقات الثقافية مع المستعمر، لهذا سعى المستعمِر إلى فصل هذه الشعوب عن ثقافتها القائمة على عقيدة الإسلام بجعلها لا تنتمي إلى أي عقيدة أو تنتمي لثقافة المستعمِر لتسهيل قيادتها نحو أهدافه). (بن نبي، مشكلات الحضارة: بين الرشاد والتيه، 2002، صفحة 85)

5.7.3.المستوى الفكري

يتمثل المظهر الفكري للاغتراب الثقافي عند **ارنولد** في ظهور العجز عن إنتاج الأفكار والمعاني والتجديد فيهما، واللامبالاة بالقراءة والتعليم في مقابل الجانب المادي للثقافة، حيث ذهب **ارنولد** إلى أن أهم مظاهر الاغتراب الثقافي في المجتمع البريطاني في القرن 19م نتج عن غياب معيار المعرفة كأساس للحراك الاجتماعي في السلم الاجتماعي وظهور معيار النفوذ، لذا نبه **ارنولد** إلى خطورة المساواة بين الثروة والحضارة ويقول إن حياة الإنسان في كل يوم تعتمد من حيث قيمتها وتماسكها على ما يقوم به من قراءة أو عدمها في ذلك اليوم، إن اكتساب المعرفة عن الناس والأفكار الجديدة والمعتقدات هو ما يعطي لحياة الإنسان قيمتها ويثري الحضارة والاغتراب الثقافي الحقيقي يكون بالاغتراب عن القراءة وظهور العجز عن إنتاج الأفكار الحرة والجديدة عن العالم والأشياء والعجز عن القراءة والإطلاع المتجدد، لان الثروة لا تحمي المجتمع من خطر التفكك وظهور الاتجاهات اللامعيارية بقدر المعرفة والفكر، لذا دعا **ارنولد** إلى ضرورة تثقيف الطبقة العاملة لأنها دون ثقافة لا تسهم في تطوير المجتمع بل في تفككه. (هولبورن، 2010، صفحة 40)

كما رأى **ليفس** أن أهم مظاهر الاغتراب الثقافي هو انحطاط الثقافة والذوق العام للجماهير، ويشير إلى أنه في الماضي كانت الثقافة المتعالية التي تبعث الحياة في الفكر وتشجع على الإبداع في متناول الجميع وليست النخبة المثقفة وحددها من تشاهد المسرحيات الراقية مثل مسرحيات **شكسبير** بل حتى الجماهير العامة، وكانت هناك دائما تلك القلة المتميزة بالذوق الرفيع الذي تميز به بين الجيد والرديء من الفن، أما في الثلاثينات فيقول انه تغير الوضع وأصبحت أذواق العامة من الجماهير والنخبة على حد سواء مهددة بثقافة جديدة سميت بثقافة الجماهير وهي ثقافة استهلاكية وقتية تشجع على الكسل الفكري وأصبحت تلقى رواجا بين العامة لسهولتها ولأنها لا تتطلب جهد فكري كبير وحلت السينما بما تروج له من إغراءات عاطفية رخيصة محل الفن

الراقي، فانتكست الأذواق ولم تعد قادرة أمام الكميات الهائلة التي تفرزها ثقافة الجماهير على التمييز بين الجيد والرديء فلم يبقى إلا قلة قليلة لازالت تحافظ على سلامة الذوق في وجود هذه الثقافة الجماهيرية وما يزيد من حدة المشكلة بالنسبة له هو التغيرات الاجتماعية والثقافية المتسارعة، فالأضرار التي لحقت الثقافة كانت نتاج التحديث وظهور التسلية السلبية التي لا تشجع الناس على التفكير. (هولبورن، 2010، صفحة 40،41)

أشار **هانز شتيفر** إلى أن الثقافة لاستهلاكية في القرنين 19م و20م جعلت الثقافة تتحول من وعي بالحياة إلى تكديس للمعلومات من أجل التوظيف العملي، فهي لا تقدر على قيادة الإنسان لبلوغ الحضارة لأنها لا تنمي فكرا ولا تمنح للإنسان وعيا بمشكلاته بقدر ما تزيدها، لأنها ثقافة استهلاكية تراكمية ركزت على الكم وأهملت الكيف، فنحن اليوم نعيش ركود ثقافي ذو بريق مخادع يوهمنا أننا في قمة الثقافة والحضارة، ويقول في ذلك: "وحين صارت الثقافة تحصيل المعلومات لم تعد وعيا بل عملية تجميع والخوض في التطبيق العملي. (سقاوي، وحدة الحضارة، 1988، صفحة 86)

4. الثقافة الجماهيرية وعلاقتها بالاغتراب الثقافي في المجتمعات المعاصرة من وجهة نظر نظرية الثقافة الجماهيرية لـ (دوت ماكدونالد):

تكلم **ماكدونالد** عن الاغتراب الثقافي من خلال تمييزه بين ثلاث أنواع من الثقافات السائدة في المجتمع الحديث هي: (هولبورن، 2010، الصفحات 49-53)

- **الثقافة العامة:** تنتج عن تفاعل الأفراد مع بعضهم وعلى الرغم من أنها لا تنتج فنا عظيما إلا أنها تعد أصيلة وحقيقية رغم أساليبها المحدودة.

- **الثقافة العالية:** اعتبر **ماكدونالد** معناها الظاهر يكفي للإشارة لها وتتمثل في الأعمال الأصيلة ذات تحد ضمن حقل معين، وينظر **ماكدونالد** إلى الثقافة العليا كإنتاج للأشخاص العظماء الذين بإمكانهم إنتاج أعمال تروق للأقلية من الناس وتقدر بإعجاب وهو يصنف ضمن الثقافة العليا بالإضافة إلى الأعمال الكلاسيكية للفنانين الكبار والموسيقيين والكتاب مثل (بيتهوفن) و(شكسبير).

ـ **الثقافة الجماهيرية**: وقد ركز عليها باعتبارها سببا في الاغتراب الثقافي داخل المجتمعات الحديثة وتختلف عن الثقافتين السابقتين وقد حددها من خلال خصائصها المتمثلة فيما يلي:

- ثقافة نمطية ذات صبغة تجارية فرضتها شركات الأعمال على الجمهور بهدف تحقيق الربح.
- لا تملك إلا القليل من المزايا إن تم اعتبارها مزايا.
- لا تحتاج جهد أو وقت كبير في التعامل بها.
- صممت لتنال إعجاب ذوي المكانة المتدنية الانفعاليين.
- لا تحمل صفة التحدي وليس لديها ما تقوله.
- يغلب عليها الزيف، كما أنها عديمة القيمة من الناحية الفنية الذاتية.
- تتسم بالانتشار الواسع.

يقول **ماكدونالد** "الثقافة الجماهيرية فرضت من الأعلى حيث جرى تصميمها بواسطة التقنيين وجرى استتجارها من جانب رجال الأعمال، أما المتلقين لها هم من المستهلكين الانفعاليين والمغلوبين، حيث أن هؤلاء مشاركتهم مقيدة للاختيار بين الشراء أو عدمه، المسوقون لهذه الثقافة إنما يستغلون الحاجات الثقافية الجماهيرية لغرض جني الأرباح أو لغرض الحفاظ على السيادة الطبقية لهم".

يرجع **ماكدونالد** قوة تأثيرها إلى أسباب، هي:

- تتميز بالسهولة والسطحية، مما يشجع العامة من الناس على اقتنائها مثل القصص البوليسية والمسرحيات التي صنعت بطريقة مبسطة في محاولة لبيع حقوق الأفلام فلو كانت المسرحية شديدة التعقيد من حيث صعوبة تحويلها إلى فيلم فسوف يصعب تسويقها.
- إن أشكال الثقافة الجماهيرية كانت تأخذ أسلوبا ابتكاريا زائفا كي تبدوا أكثر أهمية مما هي عليه في الواقع من الناحية الفنية لذلك أصبح التمايز بين الثقافة العليا والثقافة الجماهيرية أكثر صعوبة بعدما تحطمت الحدود بينهم.
- تنتج بكميات كبيرة وعلى مستويات واسعة تحاصر الجماهير.

يقول **ماكدونالد** "إنها تهدد الثقافة العليا بسبب انتشارها الواسع وكمياتها الهائلة والمخيفة فالطبقة العليا التي بدأت في استعمال هذه الثقافة لتوليد النقود من الأذواق السخيفة للجماهير ولكي تسيطر عليهم سياسيا انتهت لتجد أن ثقافتها الخاصة تتعرض للهجوم بنفس الأداة التي طورتها هي بغباء".

اعتقد **ماكدونالد** أن انتصار ثقافة الجماهير سوف تقود إلى زيادة الاغتراب الثقافي بين من صنعوا المنتجات الثقافية، فهناك المزيد من تقسيم العمل في الإعلام مثل السينما عند مقارنتها مع المسرح، حيث جرى تضليل الأفراد لكي ينفذوا مهمات ميكانيكية ترتبط بمظهر صغير من الفيلم وقد عدد **ماكدونالد** سلبيات الثقافة الجماهيرية التي تجعلها سببا في الاغتراب الثقافي والبعد عن العلم والمعرفة في سبيل تحقيق الأرباح المادية كالتالي:

ـ تشكل تهديدا لثقافة النخبة أو ما يسميه الثقافة العليا فالهدف منها هو تجاهل أو ابتذال الثقافة العليا.

ـ هي أداة لتحقيق الدكتاتورية بتغييبها للفكر والثقافة الحقيقية.

ـ توجد وعي سخيف وزائف بالمتعة لدى الجماهير.

ـ هي ليست مجرد ثقافة يختارها الفرد إنما هي سيطرة سياسية أيضا.

ـ خلق حالة من صبيانية البالغين إن صح التعبير، حيث أن البالغين الأمريكان يقرؤون بشكل متزايد الرسوم السافرة في الصحف ويشاهدون برامج تلفزيون المخصصة للأطفال يصبحون فيها غير قادرين على مسايرة حياة البالغين دون الهروب إلى الثقافة الجماهيرية لغرض التسلية وكذلك إيجاد أطفال يقِضيْنَ أكثر من اللازم فقد صار بإمكانهم مشاهدة الأفلام الموجهة للبالغين في السينما أو التلفزيون.

ـ الثقافة الجماهيرية تقوض النسيج الاجتماعي، فهي تخلق مجتمع جماهيري يصبح فيه الأفراد ذرات متناهية حيث يفقدون التزامهم تجاه الجماعة ويصبحون غير قادرين على التفاعل مع بعضهم بطريقة ناجحة وبدلا من ذلك يصبح الناس منعزلين مرتبطون فقط بأنظمة مركزية ومنظمات كالإعلام الواسع والأحزاب السياسية والشركات.

مما سبق يمكن القول أن أراء **ماكدونالد** تصنف ضمن الآراء المتشائمة، حيث يرى أن نوعا جديدا من الثقافات ظهر مع الاتجاه المادي الذي سيطر على العصر الحديث سبب اغتراب الجماهير عن الوعي الحقيقي الذي يربطهم بالذوق الراقي والثقافة

العليا التي كانت توجههم إلى المعرفة الحقيقية والتمسك بالذوق العالي، فصار اليوم دورها مهشما في ظل الأدوار الجديدة المزيفة والضاغطة التي أوجدتها الثقافة الجماهيرية، لقد جعلت وعي الجماهير مغيبا يتسم بالسطحية واللامبالاة بالثقافة الحقيقية في مقابل السعي لاقتناء منتجات التسلية والترفيه التي تحد من إعمال العقل في التفكير ولا تشجع إلا الاستهلاك المتزايد والأرباح المادية، فأضحت الثروة علامة التحضر بدل الثقافة ومنتجات الثقافة الجماهيرية السطحية والزائفة محل منتجات الثقافة العليا الراقية، والأبطال فقط يستطيعون مقاومة مثل هذا الضغط وهم قلة والمسافة بينهم متباعدة على حد رأيه غير انه يرى أنه يبقى الأمل في هذه القلة لإعادة مكانة الثقافة العليا وتصحيح ذوق الجماهير وإعادة قناة التواصل بينهم وبين الثقافة الحقيقية.

الانتقادات الموجهة للنظرية:

- ذهب **ادوارد شل** إلى أن الثقافة الجماهيرية وان كانت لا تحمل معنى فإنها تبقى اقل وحشية من القرون السابقة لظهورها.

- اتجه علماء الاجتماع بشكل متزايد إلى انه ليس من الصواب تقسيم الثقافة إلى ثقافة عليا وثقافة دنيا حيث يؤكدون عدم إمكانية التمييز بين ثقافة عليا وأخرى جماهيرية فقط.

- اعتبر **جانس** النظرية قائمة على أحكام تقيمية، ورأى انه لا يجوز فرض مثل هكذا أحكام على ثقافة الآخر ولكل الحق في اختيار الثقافة التي يريد.

الخلاصة:

في الأخير يمكننا القول، أن الثقافة بالحداثة التي ارتكزت على دعوى تحرير الإنسان من الدين والقوى الخارجة عن إرادته الحرة والتأكيد على مركزيته في الحياة الاجتماعية، ودعت إلى تمكين الإنسان من السعي إلى تكريس حقوقه والتأكيد على العقلانية والعمل كأدوات لتحقيق حاجياته بعيدا عن أي قوة خارجية، أنتجت في الواقع الاجتماعي للمجتمعات المعاصرة نمطا مختلفا من الثقافة الجماهيرية، الاستهلاكية والوقتية التي عملت على تخدير الإنسان المعاصر وتسليته عن الألم التي لقيها نتيجة ما صار يعانيه في ظل تفكك الروابط الإنسانية التي كانت تقوم على القيم والمعايير الهادفة إلى إيجاد المعنى والغاية في الحياة ألإنسانية، فصارت هذه الثقافة الجماهيرية الوقتية توظيف وسائل الإعلام وتكنولوجيا الاتصال الحديثة لتزييف الوعي الإنساني واستلابه لصالح الآلة

الاستهلاكية التي تستثمر في كل حاجيات الإنسان المعاصر لزيادة تراكم رأس المال دون أن يصل إلى غاياته ولا أن يحقق شيء من ما بشرت به الحداثة، بل تم استلابه هو ذاته ليكون ذوقه، مشاعره، روابطه وعلاقاته الإنسانية سلعة تستخدم لزيادة تراكم رأس المال من خلال الثقافة الجماهيرية ووسائلها التي تروج لها من تكنولوجيا الاتصال الحديثة.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم خاطر، الشباب و دورهم في التغير والإصلاح، ط1، (الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ،2014)
2. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ط1، ج4، (بيروت، لبنان: الغرب الإسلامي،1996).
3. ادوارد. تي. هول، اللغة الصامتة، ت: لميس فؤاد اليحي، ط1، (بيروت:لأهلية للنشر و التوزيع،2007).
4. برهان غليون، مجتمع النخبة، ط1، (بيروت:معهد الإنماء العربي، 1986).
5. بن صافي حبيب، العنف وعلاقته بالفرد والمجتمع ، مجلة الحوار الثقافي، (الجزائر:مخبر حوار الحضارات، التنوع الثقافي وفلسفة السلم بجامعة مستغانم، عدد ربيع وصيف2015).
6. تهاني محمد عثمان منيب، عزة محمد سليمان، العنف لدى الشباب الجامعي، (الرياض،السعودية:مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية،2007)
7. جاك هارمان، خطابات في علم الاجتماع في النظرية الاجتماعية، ت/ العياشي عنصر، ط1، (عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2010).
8. جيرار ليكلرك، العولمة الثقافية – الحضارات على المحك – ت/ جورج كتورة، ط1، (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004م.
9. جيوفري نويل سميث، كينتين هور، غراميشي و قضايا المجتمع المدني، ت/ فاضل جتكر، ط1، دار كنعان للدراسات و النشر، دمشق، 1991)
10. حامد عمار، دراسات في التربية و الثقافة – من همومنا التربوية و الثقافية–، (د.ب.ن: مكتبة الدار العربية للكتاب، د.س.ن).

11.خلفون أسماء، الاغتراب الثقافي وعلاقته بمفهوم الذات:دراسة نفسية اجتماعية لستة حالات،مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في علم النفس الجماعات والمؤسسات، المدرسة الدكتورالية لعلم النفس الجماعات والمؤسسات، (وهران:جامعة وهران السانيا،2010/2009)

12.الخنساء تومي، دور الثقافة الجماهيرية في تشكيل هوية الشباب الجامعي: جامعة مُحَّد خيضر بسكرة -نموذجا-،أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع، تخصص علم اجتماع الاتصال قسم العلوم الاجتماعية، (بسكرة: جامعة مُحَّد خيضر 2017-2016)

13.خير الله عصار، مبادئ علم النفس الاجتماعي، (بن عكنون: ديوان المطبوعات الجامعية،1984)

14.زهير الحروب، ثقافتنا التربوية بين التخلف و التغريب و العولمة، ط1، (الأردن: دار أسامة للنشر و التوزيع ،2014).

15.سلاطنية بلقاسم، نوي ايمان، الاغتراب الثقافي عند الطلبة الجامعيين، (د.ب.ن: مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ،العدد(11)، جوان 2013)

16.سمير عبد الفتاح، مبادئ علم الاجتماع، ط1،(عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2006).

17.السيد علي شتا، نظرية الاغتراب من منظور علم الاجتماع، (الاسكندرية، مصر: مؤسسة شباب الجامعة، 1993)

18.صالح أبو أصبع، الثقافة الجماهيرية والتنوير، ورقة أولية، الندوة الفكرية: مهرجان جرش،(2012/07/09،جامعة فيلادلفيا)

19.طارق السيد، أنوار حافظ، المشكلات الاجتماعية في المجتمع المعاصر- مشكلات السكان، تلوث البيئة، التطرف، الإدمان، البطالة (الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2009).

20.عبد اللطيف مُحَّد خليفة، دراسات سيكولوجية الاغتراب، (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، 2003)

21.عبد الله فهد النفيسي، التراث وتحديات العصر، ط1، (الكويت: شركة الربيعان للنشر والتوزيع، 1986)

22.عصام توفيق قمر وآخرون، المشكلات الاجتماعية المعاصرة - مدخل نظرية، تجارب عربية، أساليب المواجهة، ط1، (الأردن: دار الفكر ناشرون و موزعون، 2008).

23.علاء زهير عبد الجواد الرواشدة، الاغتراب الثقافي لدى الشباب الجامعي في ضوء العولمة الثقافية، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد9، العدد(3)، أكتوبر 2012

24.علاء زهير عبد الجواد الرواشدة، الاغتراب الثقافي لدى الشباب الجامعي في ضوء العولمة الثقافية، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد9، العدد(3)، أكتوبر 2012

25.على حرب، أزمة الحداثة الفائقة- الإصلاح، الإرهاب، الشراكة-، ط1، (الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي، 2005)

26.عمر كامل سقاوي، وحدة الحضارة، ط1، (دمشق، سوريا: دار الفكر ، 1988).

27.فادية فتحي رمضان، دراسة مقارنة لبعض متغيرات الشخصية لدى عينة من طلاب الدراسات العليا في التربية: المتقدمين والمتعثرين،رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في التربية، تخصص إرشاد نفسي، معهد الدراسات والبحوث التربوية، (القاهرة: جامعة القاهرة،2001)

28.فرويد وآخرون، سيكولوجية العدوان – بحوث في ديناميكية العدوان لدى الفرد، الجماعة، الدولة – ت/ عبد الكريم ناصيف، ط1، (عمان: منارات للنشر، 1986).

29.ماجد الزبود، الشباب والقيم في عالم متغير، ط1، (عمان، الأردن:دار الشروق للنشر و التوزيع، 2006)

30.مالك بن نبي، مشكلات الحضارة:المسلم في عالم الاقتصاد، ط3، (دمشق:دار الفكر، 2000).

31.مالك بن نبي، مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، ط4، (دمشق:دار الفكر، 2002).

32.مالك بن نبي، مشكلات الحضارة: وجهة العالم الإسلامي، تر: عبد الصبور شاهين، ط1، (دمشق: دار الفكر، 2002).

33.مالك بن نبي، مشكلات الحضارة: بين الرشاد والتيه،ط1، (دمشق:دار الفكر، 2002).

34.مُحَمَّد أبو القاسم حاج حمد، العالمية الإسلامية الثانية – جدلية الغيب و الإنسان و الطبيعة – مج2، ط2، (لبنان: دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 1997).

35.مُحَمَّد السويدي، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري – تحليلي سوسيولوجي لأهم مظاهر التغير في المجتمع الجزائري المعاصر، (بن عكنون: ديوان المطبوعات الجامعية، د.س.ن).

36.مُحَمَّد عاطف غيث، إسماعيل علي سعد، المشكلات الاجتماعية – دراسات نظرية و تطبيقية، (الاسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، 2003).

37.نبوية لطفي مُحَمَّد عبد الله، مفهوم الذات لدى الأطفال المحرومين من الأم، دراسة مقارنة، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في دراسات الطفولة ضمن الدراسات النفسية الاجتماعية، (مصر: جامعة عين شمس، 2000).

38.نبيلة عبد الكريم الشرجبي، علم النفس الاجتماعي: رؤية معاصرة، الطبعة العربية، (عمان: دار الأيام للنشر والتوزيع، 2015)

39.نزيه الشوفي، الثقافة الهدامة والإعلام الأسود:من هيروشيما إلى بغداد ومن خراب الروح إلى العولمة، (دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2005)

40.هاربرت .أ.شللر، المتلاعبون بالعقول، تر: عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة رقم 106، (الكويت: سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مارس، 1999).

41.هاربلمس هولبورن، سوشيولوجيا الثقافة والهوية، تر:حاتم حميد محسن، ط1، (دمشق: دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، 2010).

42.هدهود حورية، الاغتراب النفسي و علاقته بالتوافق النفسي الاجتماعي لدى المراهق الجانح ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، تخصص علم النفس، فرع علم النفس الجنائي، (المسيلة: جامعة المسيلة، 2012).

43.هشام يعقوب مريزيق، المدخل إلى علم الاجتماع، ط1، (عمان: دار الراية للنشر والتوزيع، 2008).

44.وولتر أرمبرست، الثقافة الجماهيرية والحداثة في مصر، تر: مُحَمَّد الشرقاوي، (د.ب.ن: المجلس الأعلى للثقافة، 2000)